الحروب بالإنابة؛ دهاء الفكر وبطش الأذرع

تحرير: د.عقيل الخزعلي / رئيس مجلس التنمية العراقي

اولاً: الحروب بالوكالة / بالإنابة؛ المفهوم والتعريف

باتت الحروب بالوكالة / بالإنابة سمة واضحة للعديد من الصراعات الحديثة، خصوصًا في مناطق مثل الشرق الأوسط، حيث تُدار معظم النزاعات عبر وكلاء محليين، ويتسم هذا النوع من الحروب بتعقيدات كبيرة نتيجة تداخل المصالح المحلية والدولية.

الحروب بالوكالة / بالإنابة: هي نوع من الصراعات المسلحة التي تستخدم فيها قوى خارجية فاعلاً محلياً أو أطرافاً داخلية للقيام بالقتال نيابة عنها بدلاً من الانخراط المباشر. يمكن وصفها بأنها حروب تُدار من الخلف بحيث تتجنب القوة الداعمة المشاركة المباشرة في القتال. يعتمد هذا النوع من الحروب على توفير الدعم المادي أو المالي أو المعنوي أو الاستخباري لوكلاء محليين لتحقيق أهداف الدولة أو الجهة الداعمة، وذلك بدون أن تتحمل هي نفسها تكلفة التدخل العسكري المباشر أو تتعرض لمخاطره السياسية والدبلوماسية.

ثانياً: أركان الحروب بالوكالة / بالإنابة

1. الوكيل المحلي: وهو الجهة أو المجموعة التي تتولى تنفيذ الأعمال القتالية، سواء كان فصيلاً مسلحاً، حركة سياسية، أو حتى جيش دولة تابعة.
2. الداعم الخارجي: الدولة أو الجهة التي تقدم الدعم المادي أو العسكري أو السياسي للوكيل لتحقيق أهدافها الخاصة.
3. الدعم المقدم: ويشمل الأسلحة، التمويل، التدريب، الاستخبارات، والتغطية السياسية والدبلوماسية.
4. الأهداف المشتركة: توجد مصلحة مشتركة بين الوكيل والداعم، عادةً لتحقيق أهداف سياسية أو استراتيجية، قد لا تتطابق بشكل كامل ولكنها تتقاطع في نقاط معينة تتيح التعاون.

ثالثاً: أبعاد الحروب بالوكالة / بالإنابة

1. البُعد السياسي: يتعلق بالسعي لتحقيق أهداف استراتيجية دون تدخل عسكري مباشر. الداعم يسعى لتقليل المخاطر وتجنب التداعيات الدولية عبر استخدام وكلاء.

2. البُعد الاقتصادي: يشمل تقليل التكلفة المالية والبشرية المباشرة على الداعم، حيث يستخدم الموارد المحلية للوكلاء.
3. البُعد العسكري: يعتمد على استخدام الوكلاء لتنفيذ المهام العسكرية، مما يقلل من التدخل المباشر.
4. البُعد الاجتماعي: قد يتضمن استغلال الانقسامات المجتمعية كالعرقية أو الطائفية أو الإيديولوجية لصالح الداعم.

رابعاً: مظاهر الحروب بالوكالة / بالإنابة

1. التدخل غير المباشر: مثل تقديم الدعم المادي أو السياسي أو الإعلامي للوكلاء.
2. الإنكار القابل للتصديق: يتيح للداعم إنكار تورطه المباشر ويترك الأمر للوكلاء.
3. استخدام الصراعات المحلية: توجيه نزاعات محلية موجودة لتحقيق أهداف استراتيجية.
4. الدعم اللوجستي والاستخباراتي: تزويد الوكلاء بالموارد اللازمة كالاستخبارات والأسلحة.

خامساً: أسباب الحروب بالوكالة / بالإنابة

1. تجنب التكاليف الباهظة للتدخل المباشر: التدخل العسكري المباشر مكلف من حيث التكلفة البشرية والمالية.
2. الحد من التداعيات السياسية والدبلوماسية: التدخل المباشر قد يواجه معارضة داخلية أو دولية، بينما الحروب بالوكالة تتيح للدولة الداعمة تجنب الانتقادات.
3. استغلال القوى المحلية لتحقيق أهداف استراتيجية: استغلال نزاعات داخلية لتحقيق أهداف سياسية أو إقليمية.
4. تحقيق النفوذ الإقليمي: في سياق التنافس بين الدول، تسعى القوى الكبرى إلى تعزيز نفوذها عبر دعم حلفاء محليين.

سادساً: أهداف الحروب بالوكالة / بالإنابة

1. تعزيز النفوذ السياسي والإقليمي: تحقيق أهداف استراتيجية دون المشاركة المباشرة في الصراع.
2. إضعاف العدو: توجيه الوكلاء لإضعاف القوى المعادية أو المنافسة دون المخاطرة بمواجهة مباشرة.
3. تحقيق مكاسب اقتصادية: مثل السيطرة على موارد طبيعية أو تحقيق مكاسب تجارية.

4. إحداث تغييرات سياسية: تغيير أو إسقاط حكومات غير موالية للداعم.

سابعاً: الوكيل والدعم؛ المصالح المشتركة

يمكن أن تلتقي مصالح الوكيل المحلي والداعم الخارجي في الحروب بالوكالة، وذلك في نقاط مختلفة ومشتركة قد تشكل أساسًا للتحالف بين الطرفين. هذه المصالح قد تكون مؤقتة أو طويلة الأجل، وتعتمد على السياق المحلي والإقليمي وكذلك على أهداف كل طرف، وبالامكان استعراض ذلك وفقاً الاتي:

1. المصلحة السياسية المشتركة:

أ. تحقيق الاستقرار أو تغيير النظام: قد يسعى الوكيل المحلي إلى إسقاط حكومة معادية أو تعزيز سلطته المحلية، بينما يهدف الداعم الخارجي إلى تقوية نفوذه الإقليمي عبر دعم هذا التغيير. على سبيل المثال، يمكن أن يسعى الوكيل المحلي لإسقاط نظام سياسي يُعتبر خصمًا له، في حين يدعم الداعم الخارجي ذلك لأنه يتفق مع أهدافه الاستراتيجية، مثل السيطرة على بلد معين أو زيادة نفوذه فيه.

ب. مواجهة عدو مشترك: وجود عدو مشترك يمكن أن يخلق تحالفًا بين الطرفين. الداعم الخارجي قد يرغب في إضعاف هذا العدو باستخدام الوكيل المحلي، بينما يحصل الوكيل على دعم عسكري أو سياسي أو مادي يمكنه من مواجهة خصمه الداخلي أو الإقليمي.

2. المصلحة العسكرية والأمنية:

أ. الحصول على الدعم العسكري: الوكيل المحلي قد يفتقر إلى الموارد العسكرية الكافية لمواجهة أعدائه أو لتعزيز سلطته. هنا يأتي دور الداعم الخارجي الذي يمكن أن يوفر التدريب، الأسلحة، أو المعلومات الاستخباراتية اللازمة. في المقابل، يستفيد الداعم الخارجي من توظيف الوكيل لتنفيذ أجنداته دون الحاجة إلى التدخل المباشر.

ب. تحقيق الأمن الداخلي: الوكيل المحلي قد يسعى إلى الحفاظ على الأمن والسيطرة على مناطق نفوذه، بينما الداعم الخارجي يسعى إلى تحقيق الاستقرار في هذه المناطق لحماية مصالحه الخاصة. هذا يخلق هدفًا مشتركًا، حيث يحصل الوكيل على الدعم مقابل تنفيذ الأجندة الأمنية للداعم.

3. المصلحة الاقتصادية:

أ. الاستفادة من الموارد: قد تكون الموارد الطبيعية، مثل النفط أو الغاز أو المعادن، عنصرًا مشتركًا يجذب الطرفين. الوكيل المحلي قد يسعى إلى السيطرة على هذه الموارد لتعزيز قوته الاقتصادية، بينما الداعم الخارجي يهدف إلى تأمين الوصول إليها أو ضمان تدفقها بأسعار مناسبة. هنا يتعاون الطرفان لضمان سيطرة الوكيل المحلي على تلك الموارد مقابل أن يقدم تسهيلات للداعم الخارجي.

ب. التمويل المالي: يوفر الداعم الخارجي التمويل اللازم للوكيل المحلي لتنفيذ أهداف مشتركة، مثل السيطرة على مناطق معينة أو تنظيم حركات مسلحة ضد طرف ثالث. بالمقابل، يسعى الداعم للحصول على فوائد اقتصادية كتأمين الحصص في مشاريع محلية مستقبلية.

4. المصلحة الأيديولوجية:

أ. التوجهات الفكرية أو الدينية المشتركة: أحيانًا، تلتقي مصالح الطرفين بسبب تقارب أيديولوجي أو ديني. الوكيل المحلي قد يكون لديه أيديولوجيا تتماشى مع مصالح الداعم الخارجي، مما يجعل التحالف بينهما أكثر قوة. على سبيل المثال، قد يدعم الداعم الخارجي جماعة دينية أو سياسية تتماشى مع رؤيته لتحييد أعدائه أو إحداث توازن في منطقة معينة.

ب. دعم الحركات التحررية أو القومية: قد يسعى الوكيل المحلي إلى تحقيق استقلال أو تحرير من نفوذ دولة أخرى، بينما يكون الداعم الخارجي لديه مصلحة في إضعاف نفوذ هذه الدولة. هنا يتقاطع الهدفان، مما يعزز التعاون بين الوكيل والداعم.

5. المصلحة الاستراتيجية طويلة الأجل:

أ. توسيع النفوذ: كلا الطرفين قد يسعيان إلى توسيع نفوذهما على المدى البعيد، فالوكيل المحلي يسعى لتعزيز سلطته المحلية والاقليمية، بينما الداعم الخارجي يهدف إلى خلق مناطق نفوذ جديدة أو الحفاظ على توازن القوى لصالحه. هذا النوع من التحالفات يتيح للداعم بناء وجود استراتيجي من خلال الوكيل المحلي.

ب. حماية الحلفاء: الداعم الخارجي قد يرى في دعم الوكيل المحلي وسيلة لحماية حلفائه ومصالحه الإقليمية من التهديدات المحتملة. في المقابل، يستفيد الوكيل المحلي من دعم قوي يعزز من موقعه أمام الأعداء المحليين أو الإقليميين.

6. المصلحة الاجتماعية والمحلية:

أ. تحقيق شرعية محلية: في بعض الحالات، قد يكون لدى الوكيل المحلي مصالح تتعلق باكتساب شرعية بين السكان المحليين من خلال الدعم الخارجي، والذي يمكن أن يكون دعماً ماليًا أو إنسانيًا أو إعلاميًا. الداعم الخارجي يستفيد من كسب التعاطف والدعم المحليين عن طريق تقديم المساعدات من خلال الوكيل.

ثامناً: التوازن القلق

يشير بعض الباحثين على أن تحقيق التوازن في العلاقات بين الوكيل المحلي والداعم الخارجي يحتاج إلى إدارة دقيقة واستراتيجية توازن بين المصالح المشتركة والاستقلال الوطني، بحيث يتم تجنب التبعية المفرطة وضمان تحقيق الأهداف دون المساس بالسيادة الوطنية والمصلحة العامة. وفيما يأتي بعض السبل التي يمكن اتباعها لتحقيق هذا التوازن حسب مايطرحه هؤلاء الباحثون:

1. وضع مصالح الشعب والدولة في المقام الأول: على الوكيل المحلي أن يجعل مصلحة الشعب والدولة فوق أي مصلحة شخصية أو حزبية. التعاون مع الداعم الخارجي يجب أن يكون مبنيًا على تحقيق أهداف تصب في مصلحة الاستقرار والتنمية الوطنية، بدلاً من الاعتماد المفرط على الدعم لتحقيق مكاسب قصيرة الأجل.
2. التفاوض على الشروط بوعي واستقلالية: من المهم أن يكون الوكيل المحلي واعيًا بالشروط التي يفرضها الداعم الخارجي وأن يسعى للتفاوض بمرونة لتحقيق مصالح متبادلة دون الخضوع الكامل للإملاءات. يجب أن تضمن الاتفاقيات مع الداعم الخارجي أن تظل الأولوية للمصالح الوطنية وأن يكون هناك مساحة كافية للقرار المستقل.
3. تنويع التحالفات والشراكات: يمكن تقليل مخاطر التبعية من خلال تنويع الشراكات والعلاقات الخارجية. من خلال بناء علاقات مع عدة دول وجهات مختلفة، يمكن للوكيل المحلي أن يقلل من الضغط الذي يمكن أن يمارسه أي داعم خارجي واحد، وبالتالي يحتفظ بقدر أكبر من الاستقلالية في اتخاذ القرار.

4. تحقيق الشفافية والمساءلة: يجب أن يكون التعاون مع الداعمين الخارجيين تحت إشراف ومراقبة مؤسسات الدولة، بما في ذلك البرلمان والجهات الرقابية. الشفافية في هذه العلاقات تضمن أن يتم مساءلة الوكيل المحلي في حالة وجود تجاوزات أو تأثيرات سلبية على السيادة الوطنية أو المصلحة العامة.
5. تعزيز القوة الذاتية والقدرات الوطنية: تحقيق توازن مستدام في العلاقة مع الداعم الخارجي يتطلب تعزيز القدرات الوطنية في المجالات العسكرية، الاقتصادية، والسياسية. كلما كان الوكيل المحلي قويًا وقادرًا على الاعتماد على موارده الذاتية، كلما كان أكثر قدرة على مقاومة الضغوط والتبعية.
6. التحكم في المدى الزمني للتعاون: من الضروري تحديد إطار زمني للتعاون مع الداعم الخارجي وتجنب الاعتماد على الدعم الخارجي على المدى الطويل. يجب أن يكون هناك استراتيجية واضحة للخروج من هذا التعاون بمجرد تحقيق الأهداف الأساسية، بحيث يتم التركيز على الاستقلالية وتنمية القدرات الذاتية.
7. توجيه الدعم لتحقيق تنمية مستدامة: يمكن استخدام الدعم الخارجي لتوجيهه نحو تحقيق أهداف تنموية تسهم في بناء البنية التحتية، تحسين التعليم والصحة، وتعزيز الاقتصاد المحلي. من خلال توجيه الدعم نحو الأهداف التنموية، يمكن تحويل العلاقة مع الداعم إلى أداة لتحقيق الاستقلال الذاتي بدلاً من أن تكون وسيلة للسيطرة.
8. التوافق مع الأهداف الوطنية والإقليمية: التعاون مع الداعم الخارجي يجب أن يكون ضمن إطار يتوافق مع الأهداف الوطنية والإقليمية. على الوكيل المحلي التأكد من أن التعاون لا يسبب توتراً مع الدول المجاورة أو يخلق أعداء جدد، بل يساهم في تحقيق الاستقرار والسلام في المنطقة.
9. بناء قواعد سياسية مستقلة: لتعزيز الموقف التفاوضي، يجب على الوكيل المحلي بناء قاعدة سياسية محلية قوية تستند إلى دعم شعبي واسع. هذا الدعم الشعبي يمكن أن يمنح الوكيل قوة في التفاوض مع الداعم الخارجي وتجنب التنازلات التي تمس بالسيادة.
10. التركيز على الحلول السلمية والنزاعات الدبلوماسية: يجب أن يكون التعاون مع الداعمين الخارجيين في إطار دعم الحلول السلمية والدبلوماسية للنزاعات، والابتعاد عن الزج بالبلد في صراعات لا تخدم المصلحة العامة. استخدام الدبلوماسية كأداة أساسية لتحقيق الأهداف يمكن أن يقلل من تبعات الحروب والصراعات بالوكالة.

مصادر مهمة

1. العيساوي، مالك محسن. الحروب بالوكالة: إدارة الأزمة الدولية في الإستراتيجية الأمريكية، العربي للنشر والتوزيع، 2015.
2. عبد الحميد، حسن سعد. "الحروب بالوكالة: دراسة في الأهداف وأسلوب الإدارة." مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، 22 أيار 2019.
3. حسى، عبد الحق، وعبد الكريم كيبش. "إستراتيجية الحرب بالوكالة في المنطقة العربية: دراسة حالة إيران في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية الجديدة." المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2022.
4. "الحروب بالوكالة: سمة العلاقات الدولية الحديثة." مركز الدراسات العربية الأوراسية، 9 تشرين الثاني 2023.
5. "الحرب بالوكالة: قراءة تحليلية في المفهوم والنشأة والتطور." أكاديميا، 2022.

المحتويات

اولاً: الحروب بالوكالة / بالإنابة؛ المفهوم والتعريف 1

ثانياً: أركان الحروب بالوكالة / بالإنابة 1

ثالثاً: أبعاد الحروب بالوكالة / بالإنابة 1

رابعاً: مظاهر الحروب بالوكالة / بالإنابة 2

خامساً: أسباب الحروب بالوكالة / بالإنابة 2

سادساً: أهداف الحروب بالوكالة / بالإنابة 2

سابعاً: الوكيل والدعم؛ المصالح المشتركة 3

ثامناً: التوازن القلق 5

مصادر مهمة 7